

آليات اشتغال الزمن في رواية العسكري الأسود

## آليات اشتغال الزمن في رواية العسكري الأسود

للدكتور يوسف إدريس

د/ عاليه مبارك حسين علي

دكتوراه في اللغة العربية وآدابها

وزارة التربية والتعليم و التعليم الفني

معلم أول أ / لغة عربية - مصر

### الملخص :

حاولت من خلال هذه الدراسة إبراز خصائص البنية الزمنية في رواية العسكري الأسود ، وقد شملت دراستي لعنصر الزمن ، آليات السرد الزمني ، وقد جاء زمن الخطاب مفارقاً في نظامه لزمن القصة ، نتيجة اعتماد الكاتب على تقنيات تكسير الزمن وخلخلة نظامه ، بالعودة إلى الخلف والقفز إلى الأمام .

### : Abstract:

This study attempted to shed light on the characteristics of the temporal environment. in the novel Al Askari AL Aswad . The time component included time listing mechanisms. The time of the speech was misinformation in his system about the timing of the story. The result of author's dependence on time. Breaking techniques and he dismantled his system .

يعتبر الزمن من أهم العناصر المشكلة للبنية العامة للنص الروائي ، وهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بطريقة السرد ، وهو ما يميز الرواية الجديدة عن الرواية التقليدية ، وقد شغل مفهوم الزمن منذ قديم الأزل العديد من الفلاسفة والنقاد والكتاب . وعن تعريف الزمان : أورد ابن منظور في لسان العرب لفظتي " الزَمَانُ " و " الأزمنة " تحت مادة ( زَمَنَ ) و الزَمَنُ والزَمَانُ : اسم لقليل الوقت وكثيره " . (١) وقال الأزهري في تعريف الزمن : " الدهر عند العرب يقع على وقت الزمان من الأزمنة وعلى مدة الدنيا كلها قال : سمعت غير واحد من العرب : أقمنا بموضع كذا ، وعلى ماء كذا دهرًا ، وأن هذا البلد لا يحملنا دهرًا طويلًا والزمان يقع على الفصل من فصول السنة ، وعلى مدة ولاية الرجل " (٢). وقد وردت لفظة زمن في المعاجم الغربية على هذا النحو : " الانجليزية time ، بالفرنسية temps ، باللاتينية tempus ، وبالإيطالية tempo ، أما لفظة زمن من الناحية الدلالية فمشتقة من الأزمنة بمعنى الإقامة ، التي تعني المكث والبقاء ، والبطء ، جميعاً أي كان الزمن في ألفة دلالاته يحيل على معنى التراخي . والتباطؤ كما لو أن حركة الحياة تتباطأ دورتها لتصدق عليها دلالة الزمن لتحول تلك العدم إلى وجود حيني أو زمني يسجل لفظة من الحياة في حركتها الدائمة " . (٣) أما عن الزمن الروائي

يقسم (ميشال بوتور) الزمن الروائي إلى " زمن المغامرة ، وزمن الكتابة ، وزمن القراءة ، وكثيرًا ما نجد زمن الكتابة منعكسًا على زمن المغامرة بواسطة الكاتب ، وبهذا يقدم لنا المؤلف خلاصة نقرؤها في ساعة وتكون أحداثها جرت خلال يومين أو أكثر " . (٤)

(١) ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ج ٧ ، ط ١ ، ١٩٩٥ ، ص ٦٠ .  
(٢) محمد الزبيدي ، تاج العروس في جواهر القاموس ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ج ٢٠٠٧ ، ص ٧٧ ، ٧٨ .  
(٣) عبد الملك مرتاض ، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات السرد ، المجلس الوطني للفنون والآداب ، الكويت ، د. ط ، ١٩٩٨ ، ص ١٧٢ .  
(٤) ميشال بوتور ، بحوث في الرواية الجديدة ، تر: فريد أنطونيوس ، منشورات عديدات ، بيروت لبنان ، ط ٣ ، ١٩٨٦ ، ص ٩١ .

آليات اشتغال الزمن في رواية العسكري الأسود

كما ألمح (هنري جيمس) أكثر من مرة أنّ الزمن بوجوهه المختلفة عامل تكييف رئيسي في تقنية الرواية " (٥) " الشكلايون الروس كانوا من أوائل الذين أدرجوا مبحث الزمن في نظرية الآداب ومارسوا بعضًا من تحديده على الأعمال السردية المختلفة . وقد تم لهم ذلك في حين جعلوا ارتكازهم ليس على طبيعة الأحداث في ذاتها وإنما على العلاقات التي تجمع بين تلك الأحداث ، وتربط أجزاءها " (٦) وهو ما يؤكد د. ( السيد إبراهيم ) قائلاً: " أقاموا تفرقة ذكية بين الحكاية على النحو الذي ربما حدثت عليه حدوثاً فعلياً في الزمان والمكان وفي خط ممتد من الأحداث المتجاوزة التي حصر لها وبين النص اللفظي الذي ظهرت فيه الحكاية " (٧) يرى د. سعيد يقطين ، " أن للزمن أهمية في الحكاية فهو يعمق الإحساس بالحدث وبالشخصيات ، لدي المتلقي " (٨).

الدراسات السابقة :

- ١ - القيم الإنسانية في قصص يوسف إدريس ، دراسة نقدية ، رسالة ماجستير ، جامعة الفيوم إعداد : أحمد حمادة أحمد ، ٢٠١٥ م .
- ٢- البنية السردية في القصة القصيرة قصة نظرة ( تحليل ) أنموذجاً للقاص يوسف إدريس ، محمد زيطان ، المغرب تطوان ، ٢٦ ديسمبر ٢٠١٩ م .
- ٣ - لوازم القصة عند يوسف إدريس ، مجموعة " لغة أي أي " نموذجاً ، محمد أنقار ، مجلة الكلمة العدد ٨٠ ، ديسمبر ٢٠١٣ م .
- ٤ - أقصوصة نظرة للدكتور يوسف إدريس في مرآة المنهج النفسي ، د. صبري فوزي ، ٣١ ديسمبر ٢٠١٦ م .

٥ ( أ . أ . مندولا، الزمن والرواية ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص ٢٣ .  
٦ ( حسن بحراوي ، بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٢ ، ١٩٩٠ ، ص ١٠٧ .  
٧ ( السيد إبراهيم ، نظرية الرواية دراسة لمناهج النقد الأدبي ، في معالجة فن القصة ، دار قباء للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ١٩٩٨ ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .  
٨ ( سعيد يقطين ، تحليل الخطاب ، المركز العربي للثقافة والنشر والتوزيع ، ط٣ ، بيروت لبنان ، ١٩٩٧ ، ص ٦١ .

---

د/ عاليه مبارك حسين علي

**منهج البحث :**

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التأويلي لأنه يتناسب مع مبدأ القراءات ومستوياتها بتعدد القراء أنفسهم ، مع الاستفادة بمعطيات المنهج السيميائي .

**خطة البحث :**

**المبحث الأول : اشتغال زمن الخطاب**

محور النظام الزمني .

أ - الاسترجاع .

ب - الاستشراق .

**المبحث الثاني : محور المدة الزمنية :**

أ - الإشارات الزمنية ووظائفها .

ب - التقنيات الزمنية .

١ - التلخيص .

٢ - الوقفة .

٣ - الحذف .

٤ - المشهد .

**الخاتمة**

نتائج البحث .

المصادر والمراجع

**الباحثة**

عاليه مبارك حسين علي

دكتوراه في اللغة العربية وآدابها

وزارة التربية والتعليم و التعليم الفني

معلم أول أ / لغة عربية - مصر

آليات اشتغال الزمن في رواية العسكري الأسود

## المبحث الأول

### اشتغال زمن الخطاب :

يفرق ( ميشال بوتور ) بين الزمن في الرواية الجديدة ، وفي الرواية التقليدية حيث يرى أن الحكمة الروائية لم تعد قائمة على السببية المغلفة ، والتسلسل الخطي الزمني الطبيعي بل أضحت منفتحة على أزمنة متعددة تتداخل وتتكاثر، وتستغني بهذا على المنطق الزمني التقليدي ، وبالتالي خلق إيقاعات زمنية متنوعة تتأغمت وروح المؤلف " . ( ٩ ) .

الرواية الجديدة تعبير فني عن حدة الأزمات المصيرية التي تواجه الإنسان ، فالذات المبدعة تحس غموضاً يعترى حركة الواقع ومجراها . في ظل تقنت القيم واهتزاز الثوابت وتشنت الذات الجماعية ، لا بد من الاستناد إلى جماليات التفكك بدلا من جماليات الوحدة والتناغم . وفي ظل التقنت و التبعض والتناثر لا بد من تفجير منطق الحكمة القائمة على التسلسل والترابط والبدائية والذروة والنهاية .. تلاحظ الانحرافات السردية المتكررة المتعمدة ، تكسر التسلسل الزمني ، بل تُفقد الزمن أهم خصائصه ( أي التسلسل ) وتتداخل الأزمنة وأحيانا تختفي " . ( ١٠ )

يحدد الكاتب الدكتور يوسف إدريس ، الزمن الذي تدور فيه أحداث الرواية هو: عامي ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، ويصف هذه الفترة بأنها عهد أحكام عرفية وإرهاب ، وانتهاء الحرب العالمية الثانية التي أنهكت البلاد والجلء السوري للقوات البريطانية إلى مدن القتال . وبالتالي ثورة الطلاب التي انتهت بحادثة كوبري عباس الشهيرة ( ١١ ) .

ولكن هذه الفترة تمثل فقط بداية الرواية ، ثم نجد الكاتب لم يخبرنا بتواريخ مهمة أثناء سرد أحداث الرواية ، فلم يذكر صراحةً ما الحادئ السياسي ، الذي من جرائه تم اعتقال شوقي ،

<sup>٩</sup> ( ميشال بوتور ، بحوث في الرواية الجديدة ، ص ٩١ .  
<sup>١٠</sup> ( شكري عزيز الماضي ، أنماط الرواية العربية الجديدة ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ٢٠٠٨ . ص ١٥ .  
<sup>١١</sup> ( في ٩ فبراير ١٩٤٦ خرجت مظاهرة كبرى من الجامعة لتطالب بالاستقلال التام ، وحاولت كالمعتاد عبور كوبري عباس تمهيداً للنزول لوسط المدينة، فأمر قائد البوليس بفتح الكوبري على الطلاب ، وسقطت حكومة النقراشي على أثر ذلك الحادئ ، وعهد الملك فاروق إلى إسماعيل صدقي بتشكيل الوزارة في محاولة لقمع مظاهرات الطلبة والعمال . د. محمد عفيفي ، تاريخ حافل : الحركة الطلابية والوطنية المصرية ، المركز العربي للبحوث والدراسات ، ٨ إبريل ٢٠١٤ .

د/ عاليه مبارك حسين علي

ولم يخبرنا متى أُفْرَج عنه ، وفي نهاية الرواية لم يشير إلى تاريخ محاكمة العسكري الأسود ، فقط أشار إلى أنها تمت بعد انتهاء العهد القديم بسنوات طويلة . ربما لم يحدد الكاتب تواريخ هذه الأحداث حتى يثبت أنها أحداث تخيلية ، وليست رواية تاريخية ، على الرغم من أن الأحداث توهم بواقعية الرواية . حيث أن الكاتب يوسف إدريس طبيب وتعرض للاعتقال في منتصف الخمسينيات القرن الماضي ، والرواية قصتها عن طبيب تعرض للاعتقال .

" عامي ٤٧ ، ٤٨ والأحكام العرفية وعهود الإرهاب البشع المخيف . تلك الفترة كانت أول ضربة تلقاها جيلنا .. خرجنا من الحرب لنجد جيوش الاحتلال ترتع في أرضنا ، ثرنا فحاولوا الضحك علينا والجلاء السوري إلى القتال وفاید ، ثرنا مرة أخرى مطالبين بالجلاء الكامل والكفاح المسلح ، وهذه المرة ضربونا ... جاءوا بدولة الباشا وضرينا علقه كوبري عباس ، وحاول أن يضرب أكثر فقتل ، فجاءوا بدولة باشا آخر ليكمل العلقه وأكملها .. فتح السجون على آخرها ، سلب الإرهاب بكل أشكاله ، كتم الأفواه ، أخدم الأصوات " .

(١٢)

إذا حددنا الأحداث الرئيسية في الرواية ، فسوف نجدنا ثلاثة أحداث وهي :

أ - بداية الرواية : بدأت أحداث الرواية بهذه الجملة التي قالها ( عبد الله التومرجي) لشخصية الراوي والدكتور ( شوقي ) وهما من أبطال الرواية .

" ده خلاص يا بيه .. الراجل بقي يههب زي الكلاب ويعوي زي الديابة " . بتلك الجملة التي قلبت جلستنا .. بل علاقتنا كلها رأساً على عقب " (١٣) .

ب - حدث رئيسي : ويتضمن ثلاثة أحداث فرعية وهي :

١ - اعتقال ( شوقي ) .

٢ - خروجه من المعتقل .

٣ - تغيير سلوكه وقناعاته .

١٢ ( الرواية ص ١٢ .

١٣ ( الرواية ص ٨ .

آليات اشتغال الزمن في رواية العسكري الأسود

١ . اعتقال ( شوقي ) " ... إلى أن حدث ذلك الحادث السياسي الذي هز البلاد كلها وقُبض على شوقي وأدخل السجن تمهيداً لمحاكمته " . ( ١٤ )

٢ - خروجه من المعتقل : " ... لم يفرج عنه إلا بعد انقضاء فترة طويلة " . ( ١٥ )

٣ - تغيير سلوكه وقناعاته : " ... أول ما لاحظته أن نظرتة اكتسبت طابعاً آخر لم يكن لها . كان في عينيه بريق يشع ويكسب ملامحه جاذبية خاصة .. جاذبية المؤمن بحقيقة تضئ نفسه ... ذلك البريق كان قد اختفى وكأنما اجتث من جذوره ، ولم يبق لعينه حتى اللمعة التي تميز عيني كل كائن حي ! ..... صوت شوقي نفسه قد تغير فأصبح لا يتحدث إلا همساً ، همس مؤدب خافت كمن يتوقع دائماً أن ترفض طلبه " . ( ١٦ )

أصبح بالتأكيد إنساناً آخر غير شوقي الذي عرفته . كم من مرة ضبطته يتأمر مؤامرات صغيرة في القسم ليتاح له أن يحظى بعملية " فتق " أكثر مني ومن زملائه ، كثيراً ما سمعته يناق النائب الذي لا يكبرنا في العمر أو الوظيفة إلا بعام واحد من أجل أن يقرضه كتاباً أو يدعه يلقي نظره في المنظار ، ويكذب .. يكذب باستمرار وبلا سبب " . ( ١٧ )

كنت وكأنما أرفض أن أصدق أن بضعة شهور من السجن تحيل إنساناً مهما كان من النقيض إلى النقيض " . ( ١٨ )

**ج - نهاية الرواية :مقابلة ( مواجهة) الدكتور شوقي للعسكري الأسود ( عباس الزنفلي ) .**

" بخطوات يعرف صاحبها لماذا يخطوها .. لا يبدو اضطراب أو وجل فيها ، تقدم شوقي من فراش عباس ، وبعيون كأنما انقطع عنها النظر من سنين ثم استعادت القدرة عليه فجأة شمله بنظرة قوية فاحصة لا ذعر فيها كل ما فيها من اهتزاز مرجعه ربما لوجودي ووجود عبد الله .. وبمقام من مقامات صوته لم اسمع شوقي ينطق به قال :

- أنت عباس ..

١٤ ( الرواية ص ١٢ .

١٥ ( الرواية ص ١٤ .

١٦ ( الرواية ص ١٦ .

١٧ ( الرواية ص ١٧ .

١٨ ( الرواية ص ١٩ .

د/ عاليه مبارك حسين علي

ودون أن يرفع الرجل الهيكل رأسه سكب على شوقي كمية من نظراته الميتة الوقع والطعم والإدراك .

- عيان بإيه ؟

أطلقها شوقي حامية ، كأنما من صدر حولته حرارة ما يدور فيه من انفعالات إلى تنور " .  
(١٩)

اعتمد الكاتب على تقنيات تكسير الزمن وخلخله نظامه ، فعند مراجعة أحداث الرواية نجدها تبدأ ، بتمهيد عن الزمن الحاضر ، والذي يقلق شخصية الراوي فيه سر من الزمن الماضي ، ثم يعود الراوي إلى الحاضر ، ثم يرتد إلى الماضي القريب ليصف لنا عصر الإرهاب ، ومن ثم يعود للحاضر ويستمر هكذا ما بين الارتداد إلى الماضي والرجوع للحاضر ، والقفز إلى المستقبل إلى أن تنتهي الرواية بالزمن الحاضر كما بدأت بالحاضر محور النظام الزمني :

يتجلى تكسير الزمن في رواية العسكري الأسود من خلال توظيف تقنيتين هما : الاسترجاع والاستشراف ، وإن كان الاستشراف لم يستخدمه الكاتب إلا مرات قليلة مقارنة بالاسترجاع ، فقد كان الرجوع بالزمن الأكثر هيمنة ووضوحاً في الرواية ، بل أن الكاتب بدأ روايته بالاسترجاع حتى يمهد لبداية القص .

أ - الاسترجاع :

هو " مفارقة زمنية تعيدنا إلى الماضي بالنسبة للحظة الراهنة . استعادة لواقعة أو وقائع حدثت قبل اللحظة الراهنة ( أو اللحظة التي يتوقف فيها القص الزمني لمساق من الأحداث ليدع النطاق لعملية الاسترجاع ) " . (٢٠) وترى د. ( سيزا قاسم ) الاسترجاع بأن " يترك الراوي مستوى القص الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية ويرويها في لحظة لاحقة لحدوثها . والماضي يتميز بمستويات مختلفة من الاسترجاع .

١ - استرجاع خارجي : يعود إلى ما قبل بداية الرواية .

<sup>١٩</sup> ( الرواية ص ٦٠ .

<sup>٢٠</sup> ( المصطلح السردي ، جيرالد برنس ، ترجمة : عابد خزندار ، مراجعة وتقديم محمد بريري ، ط ١ ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٣ ، ص ٢٥ .

## آليات اشتغال الزمن في رواية العسكري الأسود

- ٢ - استرجاع داخلي : يعود إلى ماضي لاحق لبداية الرواية قد تأخر تقديمه في النص .
- ٣ - استرجاع مزجي : وهو ما يجمع بين النوعين .
- والاسترجاع بأنواعه الثلاثة يمثل جزءًا هامًا من النص الروائي وله تقنياته الخاصة ومؤشراته المميزة ووظيفته التي تختلف من رواية إلى أخرى " (٢١) . " في السرد تشكّل كل عودة للماضي استنكارًا يقوم به لماضيه الخاص ، ويحيلنا من خلاله إلى أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة " . (٢٢) " وهناك من يسمي الاسترجاع بالسرد اللاحق ، ويعتبرونه سيّد أنماط السرد جميعًا " . (٢٣)
- الاسترجاع " يُخلص القصة من نواقص الرتابة ، كما يسهم في إبراز عنصر التشويق بغرض التأثير على القارئ " . (٢٤)

" كنت وشوقي شابين من شباب الجيل الذي اصطلحوا على تسميته بالجيل الحائر . صديقين بلا سبب يدعونا للصدّاقة أو حتى للانتساب إلى جيل واحد ، تفتقت عنا الحرب العالمية الثانية لنجد أنفسنا هكذا زملاء في كلية أو جامعة واحدة . بنزعات سياسية مختلفة وآراء في الناس والحياة لا يمكن أن يربط بينهما رابط ، ومع هذا فقد كنا أصدقاء لا لأننا كنا هازلين في خلافتنا إذ الحقيقة إننا كنا فيها أكثر من جادين ، وتمسك كل منا برأيه ووجهة نظره كان يصل أحيانًا إلى حد ارتكاب الجريمة . . كان تعارفنا في مؤتمر للطلبة عقدناه في الكلية ونتيجة تشاتم في الرأي ولا أقول خلافًا .. تشاتم كاد يصل إلى حد التشابك ولكننا حين خرجنا من المؤتمر كنا قد نسينا الخلاف ، وكنا نتعازم على الشاي .. وصرح لي ونحن جلوس على المقهى أنه - بيني وبينه - كان يوافقني الرأي لولا الموقف الذي كان عليه فيه أن يناصر زملاؤه أعضاء الجماعة التي ينتمي إليها " . (٢٥)

- ٢١ ( بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، سيزا قاسم ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ٥٨ .
- ٢٢ ( بنية الشكل ، د. حسن بحراوي ، ص ٢٢١ .
- ٢٣ ( عبد المنعم زكريا القاضي ، البنية السردية في الرواية ، الناشر : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، مصر ، ط ١ ، ٢٠٠٩ ، ص ١١٠ .
- ٢٤ ( صالح ولعة : إشكالية الزمن الروائي ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد كتاب العرب ، دمشق ، عدد ٣٧٥ ، تموز ، ٢٠٠٢ .
- ٢٥ ( الرواية ص ١٠ .

يقدم لنا الراوي في هذا المثال للاسترجاع ، شخصيته وشخصية ( شوقي ) ، فيخبرنا كقراء عن الزمن الذي نشأ فيه ، وهو زمن انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وأنهما وجدا أنفسهما بدون أسباب زملاء في كلية وجامعة واحدة ، وأنهما تعارفا في أحد المؤتمرات السياسية التي تُعقد بالكلية ، وبالرغم من اختلاف انتماؤهما السياسي وأرائهما في الحياة والبشر ، وتمسك كلا منهما برأيه خرجا من هذا المؤتمر أصدقاء . ثم نجد ( شوقي ) يصارح صديقه ( الراوي ) بأنه متفق معه في الرأي سرا ، إلا أنه كان عليه مخالفته ذلك الرأي في العلن حتى يرضي جماعته السياسية التي ينتمي إليها . مما يوحي بأن شوقي شخصية مُخادعة ، فهو يدافع بقوة وشراسة عن أفكار ورؤى سياسية هو غير مقتنع بها . يعطينا الراوي فكرة عن سبب تسمية جيله و( شوقي ) بالجيل الحائر ، لأنهم لا يعرفون لِمَ يعتقدون الصداقات بينهم فيما هم أناس مختلفون في الآراء السياسية والحياة والناس ، بل أنهم لا يصدقون انتماؤهم لجيل واحد . وربما يرجع السبب في ذلك للحرب العالمية الثانية التي وقعت بعضاً من معاركها على الأراضي المصرية ، وقد أعطت أملا للمصريين بأن هتلر لو انتصر في هذه الحرب لأعطى المصريين استقلالهم . ولكن هذا الأمل تبخر مع هزيمة هتلر ، ولم يتأثر المصريين سوى بالسلب من الحرب العالمية الثانية . يؤدي هذا الاسترجاع وظيفته كتمهيد لأحداث الرواية وتقديم لأبرز شخصياتها وهما ( شخصية الراوي وشخصية شوقي ) .

نتعرف على شخصية ( شوقي ) من خلال هذا الاسترجاع الذي يقدمه الراوي عنه

فيقول :

" ... كنت شديد الضيق منه ( شوقي ) قبل أن أعرفه ، يذكرني بباعة الشرب وخالعي الأسنان في الأسواق ! بل حتى شكله لم أكن استلطفه كان شاحب الوجه لسبب غير معلوم وبطريقه يبدو معها شاربه الغزير أكثر سوادا من حقيقته ، شاربه الذي ما هضمت أبدا أسباب وجوده .. ولا استطعت أن أفسر هذا التناقض الواقع بينه وبين ذقنه ، فهو غزير ،

آليات اشتغال الزمن في رواية العسكري الأسود  
وذقنه لمساء ناعمة نادرة الشعر كذقون المراهقين ، كان نحيفاً متوسط القامة جاد الملامح  
إلى درجة لا تملك معها إلا الاستخفاف بجده " . ( ٢٦ )

يقدم شخصية الراوي رأيه في شخص شوقي فقد كان يشعر بالضيق الشديد منه قبل أن  
يلتقيا ويتصادقا فيعبر عن وجود تناقض بين شعر شاربه الغزير وذقنه الملساء التي شبهها  
بذقون المراهقين ، حتى إنه يشكك في درجة سواد الشارب بالرغم من إنه أمر طبيعي أن  
يكون شارب شوقي أسود اللون ، فهو شاب في المرحلة الجامعية ، ولا يرى سبباً لشحوب  
وجهه ، حتى إنه يشبهه بالباعة الجائلين . ويواصل الراوي كشف شخصية ( شوقي )  
باسترجاع آخر فيذكر إنه ، " كان أحد زعماء الكلية وأحد زعماء مذهبه ، ولكنه أبداً لم يكن  
ذلك المتهوس الأحمق الذي لا يفلح معه تفاهم أو نقاش .. كان دائماً على استعداد لمناقشة  
أكثر الآراء بُعداً عن رأيه ، يرحب بالجدل بابتسامة واسعة لا يثور " . ( ٢٧ )  
" كان شوقي يتمتع بطاقة إرادة هائلة ، وكأنه ولد وهو يعرف بالضبط ما يريد ، ومتأكد أنه  
واصل إليه لا محالة " . ( ٢٨ )

يساهم هذا الاسترجاع في تقديم معلومات أساسية عن شخصية شوقي فهو أحد الزعماء  
السياسيين بالكلية ويؤهله لهذه المكانة قدرته على النقاش والجدل وثقته بنفسه وعزيمته  
الهائلة ، ومعرفته لهدفه بدقة .

وكما قدم الراوي معلومات وافية عن شخصية ( شوقي ) ، نجد (نور) زوجة  
العسكري الأسود تقدم لنا زوجها . هذه المعلومات التي بلورها لنا الراوي ، فنعرف ، " ..  
قصة الفلاح حين يشب قوياً أقوى وأصلب عوداً من كل أقرانه فتصبح له في البلدة شهرة ،  
ويصبح لقوته سلطان ومستلزمات ليس أقلها جلباباً من الحرير ولأثته من السكروته ، وطقماً  
يخطر به ساعة العصر ويقتمح به السوق ويتربع به في مجالس الرجال ويزغلل به وبِنفسه  
أنظار البنات والمطلقات وأنظارها هي بالذات ، بنت عمه وأحلى البنات ، قصة الفتونة  
والمراهنات على حمل أكياس القطن وأجولة الكيماوي والمعارك والنبابيت والخناقات ، ومع

٢٦ ( الرواية ص ١١ .

٢٧ ( الرواية ص ١١ .

٢٨ ( الرواية ص ١١ .

د/ عاليه مبارك حسين علي

هذا فما كان أسعدها - كما نقول - بالزواج منه واستعدادها لا لكي تنتظره أعوام الجهادية الخمسة وإنما العمر كله " . (٢٩)

في هذا الاسترجاع لمحة عن نشأة العسكري الأسود في بداية شبابه ، وتميزه بدنياً عن كل أقرانه ، وبالتالي عمل على توفير ما يليق باستحقاقها من ملابس أنيقة غالية الثمن ، ومشية يختال فيها ، وفوز مستحق لمسابقات القرية التي تختبر قوة العضلات وشدة التحمل بل والفوز في المعارك أيضا . وكيف أن ابنة عمه كانت معجبة به وبقوته البدنية وملابسه المترفة وجلوسه بشجاعة وفخر في مجالس الرجال ، حتى أنها لم تمنع في انتظاره خمس سنوات التي قضاها في الجهادية ( فترة التجنيد ) حتى يتم زواجهما . يقوم الاسترجاع هنا ، بوظيفة سردية تتمثل في الكشف عن مصادر تكوّن شخصية العسكري الأسود . " الاسترجاع يستعيد أحداثاً تعود إلى ما قبل بداية الحكاية " (٣٠) .

ثم نكشف وجهاً آخر للعسكري الأسود وذلك من خلال الاسترجاع الذي يقدمه لنا ( عبد الله ) التومرجي .

" رآه رئيس وزراء ذلك الحين في المحافظة مرة وأعجبه فأعطاه هدية للبوليس السياسي . وكان عباس نعم الهدية ، فمن بين جميع الذين كان يعهد إليهم بضرب السياسيين كان هو أكثرهم توحشاً وتقانياً لا في تنفيذ الأوامر فقط . وإنما في اختراع وسائل أقسى وأنجع للتنفيذ وكانوا يقولون أنه حين يضرب يفقد وعيه وصوابه ويصبح كالسكران أو المجنون إلى درجة لم يكونوا يجرون على تركه بمفرده مع الضحايا ، فيلازمه في عملية الضرب رقيباً عملهما التدخل في الوقت المناسب لانتزاع المتهم حتى لا يفتك به عباس وكانوا لا يستطيعون استخلافه إلا بصعوبة ... ويقولون إنه كان في بيت رئيس الوزراء كأحد أهله ، يأكل هناك ويأخذ البقشيش من الهانم الكبيرة ، ويجود عليه الباشا بالمنح السخية وعلب السجاير الفاخرة " . (٣١)

<sup>٢٩</sup> ( الرواية ص ٤٨ .

<sup>٣٠</sup> لطيف زيتوني ، معجم مصطلحات الرواية، مكتبة لبنان ناشرون ، دار النهار للنشر ، ط ١ ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٠ .

<sup>٣١</sup> ( الرواية ص ٤٠ ، ٤١ .

آليات اشتغال الزمن في رواية العسكري الأسود

عندما رآه رئيس الوزراء أعجب به ، فأهداه للبوليس السياسي ، وقد قام العسكري الأسود بالمطلوب منه ، فأمعن في تعذيب المساجين السياسيين ، ولذلك أغدق عليه رئيس الوزراء وزوجته بالهدايا والعطايا السخية . ويواصل ( عبدالله التومرجي ) تقديم معلومات عن العسكري الأسود فيقول :

" دا شاف عز يا بيه ولا العز اللي شافه فاروق .. دا كان يدخل المحافظة ناقص يضربوا له نوبة سلام .. كان يقدر ضابط من الضباط يكلمه وهو قاعد كان ينقله على طول .. حد منا كان يستجري يبص له واللا يهوب ناحيته ؟ دا مرة والله العظيم وشرفك أنت يا سعادة البيه وقع منه نص ريال ما رضي أبدا يوطي ويجيبه .. والله لما كنت تشوفه راكب جنب رئيس الوزراء ولا دولة الباشا .. وكان جبار .. أعوذ بالله .. " . ( ٣٢ )

هذا العز الذي عاش فيه العسكري الأسود ، أعطاه ثقة بنفسه في العمل وتجبر ومارس سلطات وصلاحيات وشرعية مستمدة من علاقته برئيس الوزراء ، حتى إنه كان ينقل الضباط إلى أماكن بعيدة إذا ما غضب عليهم ، وحتى العساكر كانوا يتجنبونه خوفاً من غضبه وتجنباً لبطشه . وعلى العكس من ذلك كان نفوذه في عمله يعطيه هيبة في الحي الذي يعيش فيه ، فكان الجميع يتحلق حوله في القهوة والبيت ويأمنون لقصصه ورواياته . وهو ما أكدته هذا الاسترجاع على لسان ( نور ) زوجة العسكري الأسود .

" لا يتحرك إلا في جمع من الحي والبلديات . على القهوة يحيطونه ويؤنسونه . وفي البيت ، وفي نفس تلك الصالة ينعقد مجلسهم كل ليلة . أيام عامرة ، وإن كان كل ما يأتيهم فيها يذهب ويتبخر ولا يبقى منه . ولم يبق من أيام العز كلها سوى مائتي جنيه في صندوق توفير بالبريد . أيام عامرة ولكنها قليلة " . ( ٣٣ )

ثم نرى شخصية العسكري الأسود من خلال ضحيته الطالب السياسي المعتقل ( شوقي ) بعد خروجه من المعتقل بسنوات طويلة لم يشأ الكاتب أن يحددها لنا ، فيواجهه قائلاً :

" ما تستعبطش . ما تعملش انك ناسي .. مش فاكر العنبر ؟ مش فاكر عُلق الساعة خمسة ؟ مش فاكر دور تسعة ؟ مش فاكر النباييت ؟ مش فاكر الكرياج ؟ مش فاكر الدم ؟

٣٢ ( الرواية ص ٤٠ .

٣٣ ( الرواية ص ٥٠ .

د/ عاليه مبارك حسين علي

فين كرباجك وديته فين ؟ فين صراخك يا وحش فين ؟ فين نعل جزمته الحديد ؟ فين كفك ؟  
فين صوابك ؟ فين النار فين ؟ بص لي وانطق واتكلم وصرخ .. صرّخ زي زمان .. سمعني  
صوتك .. صرخ يا عسكري يا أسود .. بص لي وانطق واتكلم وصرّخ .. ما تعملش ناسي  
وإن عملت أفكرك .. حالاً أفكرك .." (٣٤).

يسترجع شوقي زمن اعتقاله والرعب الذي كان ينتابه وزملائه المعتقلين من لحظة  
سماع قرع نعاله ، التي تعلن عن دخول العسكري الأسود للمعتقل ، وتوجههم خيفة من  
سَيُنزل عليه جام غضبه . نستطيع من خلال هذه النماذج المختلفة للاسترجاع أن نرى  
شخصية العسكري الأسود من زوايا مختلفة ، فهو الشاب الأنيق الشجاع القوي المنتصر  
دائماً ، والذي تطمح فتيات القرية بالزواج منه ، ويحظى بحب وصحبة جيرانه ، كما صورته  
لنا عيون زوجته ( نور) ، وهو الشخصية القاسية عديمة الرحمة المتحجرة القلب والمشاعر  
ويخشاها الجميع في العمل ، كما بدت من وجهة نظر زميله ( عبدالله التومرجي ) وضحيتها  
طالب الطب المعتقل السياسي ( شوقي ) .

نجد تقنية الاسترجاع أجابت على تساؤلات الراوي وربما القارئ وكشفت عن سبب  
تصرفات الشخصيات على هذا النحو من الغرابة والقسوة . الأولي في حالة شخصية  
شوقي والأخيرة لشخصية العسكري الأسود . تكشف نماذج الاسترجاع عن تعدد وتنوع  
المعلومات ، إذ مع كل ارتداد إلى الماضي تتجمع معلومات جديدة عن الشخصية ، ويكون  
ذلك الاسترجاع مكملاً لتطور الأحداث وفق منطق له ما يبرره . وقد قام الاسترجاع بتلخيص  
السيرة الذاتية لكل من شخصية (شوقي) و العسكري الأسود. ومن اللافت للنظر في طبيعة  
الاسترجاع إن المشاعر المصاحبة له مختلفة ، فقد كان مشحوناً بمشاعر الحب والغضب  
والكراهية والاشمئزاز ، وهذا ما يوضح اختلاف وجهات النظر بين الشخصيات في النظر  
إلى الشخص المعني بالاسترجاع ، وهذا ما يتضح من خلال استرجاع (نور) و (شوقي)  
و(عبد الله) لشخصية العسكري الأسود .

<sup>٣٤</sup> ( الرواية ص ٦١ .

" عملية سردية سابقة بالنسبة لزمانها ولوقائع والمواقف المسرودة ، والقص المسبق سمة مميزة للسرد المتنبئ بما سيحدث " . (٣٥) ويتم الاستشراف باستخدام الفعل الدال على الاستقبال ويتم عادة استخدام الفعل المضارع الذي حرف السين أو سوف .

" .. أنه سيبدل كل ما في استطاعته لرجاء دولة الباشا والإفراج عن بسيوني شقيق العمدة ، الطالب المعتقل وينجح في الإفراج عنه " . (٣٦)

في هذا المثال نجد العسكري الأسود على لسان الراوي يستجيب لرجاء عمدة بلدته و أن يتوسط له لدى الباشا ، وسيبدل كل جهده للإفراج عن شقيق عمدة بلدته المعتقل السياسي ، وبالفعل يتوسط لدى الباشا من أجله، ويقبل دولة الباشا وساطته ، ويُفرج عن الطالب المعتقل ، ويكافؤه العمدة بخمسين جنيهاً وخرقاً .

".. وفي أثناء نومه جاءت أم ثابت والحاجة كريمة وأم على وأخبرنها أن الباشا الذي يعمل معه عباس ترك الكرسي وأنهم سيعملون انتخابات ليجيئوا بباشا آخر " . (٣٧)

أما في هذا المثال فيوضح عزل الباشا الذي كان يعمل لديه العسكري الأسود ويستمد نفوذه وقوته وجبروته منه ، والانتخابات الجديدة ستأتي بباشا جديد ، مما يهدد وجود وسلطان العسكري الأسود ، ومن ثم يدخل في حالة نفسية سيئة ويعتزل زوجته والناس وتسوء حالته الصحية ما يجعله في النهاية يخضع لقومسيون طبي من أحد ضحاياه القدامى ( د. شوقي ) استخدام الكاتب لتقنية الاستشراف يجعل من القارئ مشاركاً في بناء النص السردى عن طريق توقع الأحداث التي سوف تقع في المستقبل . ونجد الاستشراف هنا من خلال هاتين المثالين قام بوظيفته المتمثلة في التمهيد والإعلان عما سيأتي من أحداث في المستقبل ، وهو ما يخلق أفاقاً للانتظار والترقب .

من خلال تتبع نماذج الاسترجاع والاستشراف يتضح لنا هيمنة الاسترجاع مقارنة بالاستشراف وذلك لأن معظم أحداث الرواية ، جاءت بصيغة الماضي ، فنجد كلمات وأفعال

<sup>٣٥</sup> ( جيرالد برنس ، المصطلح السردى ، ترجمة : عابد خزندار ، مراجعة وتقديم محمد بريري ، ط

١ ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٣ . ص ٢٦ .

<sup>٣٦</sup> ( الرواية ص ٥٠ .

<sup>٣٧</sup> ( الرواية ص ٥٤ .

د/ عاليه مبارك حسين علي

مثل : " كنت ، كنا ، يذكرني ، تمسك ، كان ، خرجنا ، حاولوا ، ضربنا ، قُتل ، كمم الأفواه ، تلك الفترة ، لم يبق ، وهذا يساعد في إيهام القارئ بأن ما رواه الراوي قد حدث فعلا. لا يتشكل بناء الزمن من خلال الاسترجاع والاستشراق فقط ، بل ثمة تقنيات أخرى ترتبط بوتيرة الحركة السردية والتي تؤدي إلي تسريع وتيرة السرد أو إبطائها ، مثل التلخيص والوقفة و الحذف والمشهد . وهو ما يأتي تحت بند محور المدة .

#### محور المدة :

ترتبط التقنيات الزمنية في رواية العسكري الأسود ، ارتباطا وثيقاً بالإشارات الزمنية وبطريقة سرد الأحداث وهذا يتطلب معاينة طبيعة الإشارات الزمنية وكثافتها ، ثم معاينة أي الطرق المسيطرة في طريقة الإخبار من حيث السرد والوصف والعرض .

#### أ - الإشارات الزمنية ووظائفها :

" إن الإشارات الزمنية في أي نص سردي تشترك معاً وتتفاعل مع عناصر السرد جميعها ، مستندة في هذا التفاعل والتناغم إلى التأثير والتأثر المتبادلة حتى يستقيم نسق السرد داخل هذا العمل السردية وهذا التأثير والتأثر هو ما يمنح العمل الأدبي السردية الحقيقية " . (٣٨)

نجد الإشارات الزمنية في رواية العسكري الأسود ، متعددة ومتنوعة ، منها ما هو محدد تحديداً يمكن قياسه بعدد الأيام والشهور ، ومنها ما هو غير محدد لا يمكن قياسه إلا بشكل تقريبي . تقوم الإشارات الزمنية غير المحددة بتسريع السرد بالقفز على الأحداث وإسقاط التفاصيل غير المهمة .

تؤدي الإشارات الزمنية ووظائف سردية مختلفة لها أهميتها في بناء الأحداث وحركتها . تفيد الإشارات الزمنية في إعادة تنظيم الأحداث وفق تسلسل زمني منطقي ، وتكشف لنا عن نوع الزمن المهيمن ، وتوضح أهمية حركة السرد من حيث الحذف والتلخيص " الخلاصة " .

<sup>٣٨</sup> ( سيزا قاسم ، بناء الرواية ص ٢٧ .

نماذج للإشارات الزمنية :

" كان الوقت بعد الظهر .. أن الطبيب حين يعمل في تلك الفترة كان ينفرد بالعمل " . (٣٩)  
توضح تلك الإشارة الزمنية حب شوقي للسلطة والتمتع باللقاء الأوامر وسماع كلمة تمام يا أفندم . " كانت الساعة تقترب من الرابعة والنصف " . (٤٠) هذا المثال يوحي بدقة الوقت للإيهام بأن الزيارة كانت حقيقية . " كان ينتهي من طابور بعد الظهر كله فيما لا يزيد عن الساعة " . (٤١) يوضح هذا النموذج استهتار شوقي بمرضاه .  
" تفننت عنا الحرب العالمية الثانية " . (٤٢) هذا النموذج يحدد الزمن الذي تدور فيه أحداث الرواية .

" وأصبح رمزًا لكل ما يناله جيلنا من ضربات وأصبح هو مبعث الرعب . ذلك العسكري الذي يرقد دوسيهه بعد سنوات على مكتب شوقي ، والذي كان مقدراً لنا أن نراه بعد هذه المدة الطويلة ، وبطريقة لم نعلم بها أبداً " (٤٣) .

تمهد هذه الإشارة الزمنية لحدث مهم ، حيث سيواجه السجين السياسي ( شوقي ) سجانته ( العسكري الأسود ) ، بعد أن أصبح السجين طبيباً وبعد فقد العسكري الأسود سلطته وصحته أيضاً . وهو ما تكشفه الإشارة الزمنية التالية .

" ... طلبات بإجازات مرضية ، وخطابات متبادلة بين الحكمدارية و وزارة الداخلية و قوميون طبي المحافظ مؤرخ في نوفمبر ٤٩ وأخرها بعد سنوات " . (٤٤) .

يكشف هذا النموذج عن تتبع الحالة الصحية للعسكري الأسود من خلال المخاطبات الرسمية بين الدوائر الحكومية المختلفة ، ويكشف التاريخ الوارد بالنموذج أن المعاناة الصحية للعسكري الأسود ممتدة منذ عدة سنوات ، والكاتب بهذا النموذج يمهد للإشارات الزمنية التالية ، " .. وبالتحديد في اليوم السابق لذلك اليوم الذي كنت فيه مع شوقي في

٣٩ ( الرواية ص ٧ .

٤٠ ( الرواية ص ٩ .

٤١ ( الرواية ص ٩ .

٤٢ ( الرواية ص ١٠ .

٤٣ ( الرواية ص ١٢ ، ١٣ .

٤٤ ( الرواية ص ٢٤ .

د/ عاليه مبارك حسين علي

مكتبه ، ورد خطاب أرسلته المحافظة إلى الحكيمباشي ، تطلب فيه توقيع الكشف الطبي على نفس عباس محمد الزنفلي ، لإثبات عجزه الكامل تمهيداً لفصله من الخدمة " . (٤٥) " تلك الدقائق التي استغرقتها الرحلة إلى قلعة الكباش حيث كنا ذاهبين " . (٤٦) حيث طلبت المحافظة توقيع الكشف الطبي على عباس محمد الزنفلي (العسكري الأسود) تمهيداً لإثبات عجزه وفصله من الخدمة ، وقد ذهبت لجنة القومسيون الطبي والتي يمثلها بشكل رسمي ( الدكتور شوقي و التومرجي عبد الله ) وبدافع الفضول الراوي ، لمنزل العسكري الأسود بقلعة الكباش ، وقد واجه شوقي جلاده بجميع الجرائم التي ارتكبها في حقّه وحق بقية المعتقلين ، وبالرغم من المواجهة القاسية التي حدثت بين الضحية والجلاد ، إلا أننا نجد الضحية ( الدكتور شوقي ) سامح جلاده وتسامى وارتفع عن آلامه ، فلم يثبت الحالة الصحية المتدهورة للعسكري الأسود ، والتي ينتج عنها فصله من عمله ، بل قرر ترك الحكيم باشي ، يتعامل مع هذا الأمر . " وبعد زوال حكم الإرهاب وبداية مراجعة الجرائم التي ارتكبت في ظله " . (٤٧) هذه الإشارة توضح انقضاء عهد وبداية عهد ، دون تحديد زمن زوال حكم الإرهاب أو الإعلان عن زمن محاكمة الذين أجزموا في ذلك العهد .

ب - التقنيات الزمنية :

١ - التلخيص :

يقوم التلخيص " بسرد أحداث ووقائع يُفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات ، واختزالها في صفحات أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل " . (٤٨) ويسمى الملخص والمجمل ، وهو " سرد أيام عديدة أو شهور أو سنوات ، حياة شخصية بدون تفصيل للأفعال أو الأقوال وذلك في بضعة أسطر أو فقرات قليلة " . (٤٩)

<sup>٤٥</sup> ( الرواية ص ٢٤ .

<sup>٤٦</sup> ( الرواية ص ٢٦ .

<sup>٤٧</sup> ( الرواية ص ٣٤ .

<sup>٤٨</sup> ( حميد لحميداني ، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط ٣ ، ص ٧٦ .

<sup>٤٩</sup> ( سمير المرزوقي ، مدخل إلى نظرية القصة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٨٩ .

آليات اشتغال الزمن في رواية العسكري الأسود

" شيئاً فشيئاً طوال شهرين أو ثلاثة عمل فيها معاً أيقنت أن محاولاتي لاستثارة " شوقي " البطل داخل هذا الشوقي الجديد محاولات لا فائدة منها " . (٥٠) في هذا التلخيص، يوضح مدى الجهد الذي قامت به شخصية الراوي من محاولات عديدة لاسترجاع شوقي الثائر الخطيب المفوه الزعيم القيادي من شخصية شوقي الجديدة المستسلمة .

" هدفي طوال الوقت أن استخلصه من تلك التي اعتقدت أنها حالة انتابته بعد خروجه من السجن " . (٥١) يوضح التلخيص الثاني أن هدف شخصية الراوي طوال الوقت وهو تعبير عن زمن طويل وممتد وغير معروف بالضبط ، أن يخرج من حالة اللامبالاة وتجاهل الرد على الأسئلة والتصرفات المشينة طوال الوقت . وبالرغم من فشله في محاولاته الكثيرة إلا أنه لم ييأس ، وحاول مرارا وتكرارا وهذا ما يتضح لنا من قول : طوال الوقت . وقد أسقط الكاتب تفاصيل هذه المحاولات لأنها امتدت على فترة زمنية طويلة ولأنها محاولات عديدة ومتكررة ، وهذا كان سيوقع الكاتب في فخ التكرار وتقديم المعلومات التي لا تخدم السرد والتي يشعر معها بالملل ، لذلك نجد الكاتب اكتفى بالإشارة إلى حدوث محاولات دون أن يورد تفاصيلها ، وحتى يستطيع القارئ تفعيل مخيلته حول هذه المحاولات وبالتالي يشارك في بناء الأحداث .

هذان المثالان بمثابة موجز للمهمة ، التي قامت بها شخصية الراوي وكانت شغله الشاغل لمدة شهور طويلة ، أو كما قال طوال الوقت . نجد شخصية الراوي توضح نتيجة ضمنية من خلال تقنية التلخيص ، وهي أن شوقي الجديد هو من سوف يستمر وتموت شخصية شوقي القديم البطل الثائر الجسور ، الخطيب المفوه ، وهو ما يقره ويؤكد عليه الراوي في نهاية الرواية بالفعل .

توضح تقنية التلخيص كتقنية زمنية معلومات مكثفة عن التغيير الذي أصاب شخصية شوقي ، وعن الجهد المكثف المبذول من شخصية الراوي ، لاسترجاع شخصية

٥٠ ( الرواية ص ١٧ .

٥١ ( الرواية ص ١٦ .

د/ عاليه مبارك حسين علي

شوقي القديم . " إن المجلد ( التلخيص ) يظل حتى القرن ١٩ وسيلة الانتقال الأكثر شيوعًا بين مشهد وآخر " . ( ٥٢ )  
٢ - الوقفة :

تعتبر الوقفة ، تقنية زمنية حيث يتوقف السرد خلالها ، وبالتالي يحدث تباطؤ في توالى أحداث الرواية . " يلجأ السارد إلى تعليق الأحداث ويتجه إلى وصف المنظر أو الإطار الذي تقع فيه الأحداث ، وقد يصف الشخصيات داخليًا وخارجيًا " . ( ٥٣ )  
" كانت الساعة تقترب من الرابعة والنصف وكنا في الصيف والحجرة قد خلت من روادها ، ورواد الحجرة معظمهم من مجتمع القاهرة السفلي ، متسولون ومتشردين ، ومجازيب وذو عاهات ، ومدعون ومتشاجرون ، فرادى وجماعات ، في سلاسل وكلابشات وأحيانًا مربوطو الجلابيب حتى لا يغافل أحدهم العساكر وينسل هاربا .. رواد بمحاضر وخطابات من الأقسام لتوقيع الكشف الطبي عليهم لتقدير أعمارهم وعاهاتهم ، تمهيدًا لسلسلة من الإجراءات الطويلة التي تُتخذ معهم .. ولا يخلو الأمر من متشاجر أنيق ، أو تهمة بهتك عرض ، أو بنت نوات .. هذا عدا العساكر طالبي الأجازات وأحيانًا شاييشية وضباط ، عدد ضخم كان طابوره يبدأ من باب المحافظة ويملا فناءها الواسع ، وينتهي عند ذراع عبد الله الممتدة تسد باب المكتب الطبي المفتوح ، وعند صوته المبحوح المطالب عبثًا باحترام الدور .. العجيب أن شوقي كان ينتهي من طابور بعد الظهر كله فيما لا يزيد عن الساعة ، ولكن أي ساعة ! حتى حين تخلو الحجرة بعدهم ويوصد عبد الله الباب يبقى الجو مشبعًا بأشباح تكاد تتدخل في الحديث الدائر بيني وبينه أشباح أشخاصهم و مآسيهم روائعهم أيضا . روائح خاصة ليست مقرزة كما يتبادر إلي الذهن ، ولكنها مختلفة بالتأكيد عن رائحة الأندنية مثلا ، أو جموع الفلاحين ، رائحة لا تصبح مقرزة إلا حين تختلط برائحة الفنيك الذي ترش به الأرض والد.د.ت ، وعرق المبنى العتيق ، والأثاث الذي بقرت مسانده .. وتتجمع هذه كلها ، ويأتي عليها ظهر يوم صيف كيوم الصيف ذاك وما بعده ، فيحولها إلى

<sup>٥٢</sup> ( جيرار جينيت ، الحكاية بحث في المنهج ، تر: محمد عبد الجليل الأزدي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط ، ٢٠٠٣ ، ص ١١ )  
<sup>٥٣</sup> ( حميد لحميداني ، بنية النص السردي من منظور أدبي ص ٧٧ .

آليات اشتغال الزمن في رواية العسكري الأسود

بواخ يملأ الحجرة وينعقد حتى سقفاها العالي . بواخ يخنفنا ويكاد يدفعنا لمغادرة المكان . ولكننا لم نكن نفعل بالعكس كان إحساسنا بالاختناق الخارجي ذاك يوفر علينا الكثير من إحساسنا بالاختناق الداخلي" (٥٤) .

في هذا النموذج للوقفه نجد الكاتب ، يترك الوصف الذي يسرف في تصوير مظهر الشخصية الخارجي إلى وصف فضاء المكان والزمان وصفة الشخصيات ، وقد ركز الكاتب في وصف الشخصيات والمكان على العامل النفسي فتحول الوصف الخارجي إلى إسقاط للحالة النفسية ، ولذلك نجد الراوي يوقف السرد بين لحظة وأخرى يعلق أو يتعجب على مشهد رآه أمامه . يصف الراوي في هذه الوقفة الزمان بأن الساعة تقترب من الرابعة والنصف عصرًا وأن الجو صيف مما يوحي بحرارة الجو ، وبأن رواد المكتب الطبي الذي يعمل به شوقي من الطبقة الدنيا بالقاهرة كالمترددين والمجاذيب وطالبي أجازات من الضباط والعساكر وغيرهم وبعد أن وصف الراوي ما رآه من تعدد واختلاف المترددين علي المكتب الطبي ، يعلق على مشهد يراه وهو مطالبة عبد الله التومرجي لطالبي الكشف الطبي باحترام الدور ولكنهم لا يعبتون . ويتعجب الراوي من أن شوقي كطبيب ينتهي من كل هؤلاء المترددين على المكتب الطبي في ساعة واحدة ، وهو أمر يوضح عدم إعطاء شوقي كطبيب الحقوق لأصحابها ، لأنه لو قام بالكشف عليهم لاستمر زمن الكشف أكثر من ساعة ، ثم ينتقل الراوي من الوصف إلى السرد فيقول أن أشباح رواد المكتب الطبي ، تكون موجودة في المكان ، وتكاد تتدخل في الحديث الدائر بينه وبين شوقي . هذه الأشباح بمآسيها وروائحها ومعاناتها تتداخل مع حرارة الصيف ومع عرق مبني المحافظة القديم والذي يدل في قدمه على ممارسات القمع الممتدة داخل حناياه منذ زمن طويل ، وأثاث المكان البالي الذي يدل على طول العهد به ، وأنه استوجب التغيير منذ فترة ولكن لا أحد يبالي ، كل هذه الأشياء تتعانق وتتكاثر مع بعضها البعض حتى يكون بواخ يملأ المكان ويتجمع هذا البواخ ويرتفع حتى يصل إلى سطح الحجرة . ولكن هذا الأمر لا يدفع شوقي وشخصية الراوي إلى مغادرة

<sup>٥٤</sup> ( الرواية ص ٩ .

د/ عاليه مبارك حسين علي

المكان ، لأن هروبهم من المكان يعني مواجهتهم لمشاكلهم الخاصة ، وعدم هروبهم يقلل من إحساسهم بضرورة مواجهتهم لمشاكلهم .

في هذا المثال نجد إسقاط الحالة النفسية لشوقي ولشخصية الراوي على المكان ( مبنى المحافظة والحجرة ) والأثاث ورواد المكتب الطبي ورائحة المكان ، وهو تجسيد لهروبهما من مواجهة المشكلة التي يعاني منها شوقي ولا يريد الاعتراف بها أو الحديث عنها ، ولا يستطيع صديقه الراوي إخراجه منها .

### ٣ - الحذف :

" بعد شهر من انقطاع الصلة بيننا لم أراه إلا يوم الامتحان " . (٥٥)  
لجأ الكاتب لتقنية الحذف ، لأنه لم يكن يعلم أين هو شوقي ، وماذا يفعل ؟ ولكنه أخبرنا فقط أنه مرت شهر دون أن يعلم تفاصيلها .

" الزمن كان يمضي والأيام تنقضي فلا تزيده إلا استمساكاً بموقفه " . (٥٦)  
" كنت متأكدًا أن شوقي ليس من النوع " . (٥٧) تخبرنا شخصية الراوي في هذين المثالين بعدم جدوى محاولاته لتغيير موقف شوقي وإخراجه من حالة الجمود ، واللامبالاة والسلبية التي أصبح عليها بعد خروجه من السجن ، الكاتب لم يوضح تفاصيل محاولات الإقناع ورد فعل شوقي على هذه المحاولات ، لأنها ستكون أسئلة وأجوبة متكررة ، وهذا من شأنه تعطيل حركة السرد . وإفراد صفحات مطولة لتوثيق محاولات التغيير الفاشلة .

### ٤ - المشهد :

#### المشهد السردي الحواري :

" هو شكل سردي يقوم أساسًا على مسرحة الحدث ، ويكون دوام النص مساويًا نسبيًا لدوام الحكاية ، وهو في الأغلب سر مشهدي بمعنى الحوار بين الشخصيات " . (٥٨)  
وفيه تظهر الشخصية بمظهرها الطبيعي فالراوي لا ينقل ما يقع للشخصية في وقت مضى ، بل يقيمها أمام أعيننا في الحاضر نابضة حية تتحرك ، ويفسح المجال أمامها للمواجهة

<sup>٥٥</sup> ( الرواية ص ١٤ .

<sup>٥٦</sup> ( الرواية ص ١٦ .

<sup>٥٧</sup> ( الرواية ص ١٦ .

<sup>٥٨</sup> ( خليل رزق ، تحولات الحركة مقدمة لدراسة الرواية العربية ، مؤسسة الأشراف للطباعة والنشر، بيروت ١٩٩٨ ، ط ١، ص ٧ .

آليات اشتغال الزمن في رواية العسكري الأسود

المباشرة مع القارئ ، لتتحدث بصوتها ، وتكشف عن أفكارها من خلال الحوار الدرامي داخل المشهد " . (٥٩)

" سميت هذه الحركة بالمشهد ، لأنها تخص الحوار حيث يغيب الراوي ويتقدم الكلام كحوار بين صوتين .. كأن القص مشهد نُصغي إليه و هو يجري في حوار بين شخصين يتخاطبان " . (٦٠) " في تقنية المشهد يعمد الراوي إلى اختيار المواقف المهمة من الأحداث ويعرضها عرضاً درامياً مسرحياً أمام المتلقي موهماً إياه بتوقف حركة السرد " . (٦١) ارتفع صوته ( عبد الله ) فارغ الصبر مزعجاً هو الآخر يقول :

يا للي هنا

وفتح الباب وخرجت المرأة الصغيرة وقد ارتدت ثوباً مهلهلاً أسود بينما لفت رأسها بثوبها الكستور الذي كانت ترتديه ، وومضت ناحيتنا تتعثر في مشيتها وتقول :

- اتفضلوا .

وباختصار ، وقبل أن تصلنا أو تشرع في الدخول كان عبد الله قد شرح لها السبب في حضورنا ولدهشتي وجدته قد ضمنني إلى البعثة وأخذ يتحدث عنا باعتبارنا " قومسيون طبي المحافظة " وقد جاء بكامل هيئته . وحين انتهى من إخبارها لم تفعل أكثر من أنها أطرقت مستسلمة ، ومرة أخرى قالت :

- اتفضلوا .

- انتي مراته ؟

- أيوه يا سيدي .

- وهو فين ؟

- نايم جوه .

- وللمرة الثالثة قالت :

- اتفضلوا .

ويلهجة آمرة قال عبد الله :

- قدام البهوات .. وريهم السكة .

<sup>٥٩</sup> طه عبد الفتاح ، الحوار في القصة ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٢٩ .

<sup>٦٠</sup> ( يمني العبد ، في معرفة النص ، دار الأفاق ، بيروت لبنان ، ط٣ ، ١٩٨٥ ، ص ٨٢ .

<sup>٦١</sup> ( سمير المرزوقي ، مدخل إلى نظرية القصة ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٨٩ .

د/ عاليه مبارك حسين علي

ولكنها بدلا من هذا وقت لا تعرف ماذا تقول ، وأخيراً قالت مشيرة إلى الكنبه في ركن الصالة :

- بس والنبي تستريحوا هنا دقيقة .. دقيقة واحدة . (٦٢)

" يعمل المشهد على كشف الحدث ، ونموه ، وتطوره مع الحكاية ، يعمل على الكشف عن ذات الشخصية من خلال الحوار الذي يصدر عنها مع الآخرين ، يقوم بتقوية إيهام القارئ بالحاضر الروائي " . (٦٣)

في هذا المشهد حوار بين عبد الله التومرجي ونور زوجة العسكري الأسود ، وتبدو في إجاباتها على أسئلة عبد الله دقيقة ومختصرة ، وقد تدخلت شخصية الراوي في هذا الحوار بالتعليق أكثر من مرة ، حيث رصد للقارئ ردود أفعال نور على أسئلة عبد الله وعلى ملابسها ومشيتها المتعثرة ، وطلبها المتكرر لهيئة القوميسون الطبي بالانتظار دون إبداء الأسباب لذلك . وقد جعلنا هذا الحوار نشعر بالشخصيات كما لو كانت أمامنا شاخصة في هذا الموقف التمثيلي .

#### الخاتمة :

اهتمت هذه الدراسة بالكشف عن آليات اشتغال السرد في رواية العسكري الأسود ، بالوقوف عند أحد أهم عناصر البناء الفني للنص الأدبي ، ألا وهو الزمن ، وقد أبرزت الدراسة طبيعة الزمن وأثره في بنية الخطاب التخيلي ، بالرغم من أن الأحداث توحى بواقعيته .

#### النتائج :

- ١ - توهم أحداث الرواية بواقعيته .
- ٢ - نزوع الكاتب إلى التجريب .
- ٣ - استخدام الكاتب لتقنية الاسترجاع كوسيلة لكشف ماضي الشخصيات المحورية بالرواية .

<sup>٦٢</sup> ( الرواية ص ٤٥ .

<sup>٦٣</sup> ( مها حسن القصراري ، الزمن في الرواية العربية المعاصرة ، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٤٠ .

آليات اشتغال الزمن في رواية العسكري الأسود  
٤ . كان الاسترجاع من نصيب الشخصيتان البارزتان في الرواية وهما: شخصية شوقي  
والعسكري الأسود .

### المصادر والمراجع

أولاً المصادر :

العسكري الأسود ، د. يوسف إدريس ، الأعمال الكاملة ، الروايات ١ ، دار الشروق ،  
الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ م ، القاهرة . مصر .

### ثانياً المراجع :

حسن بحراوي بنية الشكل الروائي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ،  
ط٢ ، ١٩٩٠ م .

حميد لحميداني بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي  
للطباعة والنشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، ط٣ ، ٢٠٠٠ .

خليل رزق تحولات الحركة مقدمة لدراسة الرواية العربية ، مؤسسة  
الإشراف للطباعة والنشر ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٨ .

سعيد يقطين تحليل الخطاب ، المركز العربي للثقافة والنشر والتوزيع ،  
ط٣ ، بيروت ، ١٩٩٧ .

سمير المرزوقي مدخل إلى نظرية القصة، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، ١٩٨٦ .  
السيد إبراهيم نظرية الرواية دراسة لمناهج النقد الأدبي ، في معالجة فن القصة  
دار قباء للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٨ .

سيزا قاسم بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ ، الهيئة المصرية  
العامة للكتاب ١٩٨٤ م .

شكري عزيز أنماط الرواية العربية الجديدة ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني  
للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، ٢٠٠٨ .

طه عبد الفتاح الحوار في القصة ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

عبد الملك مرتاض في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، المجلس الوطني  
للفنون والآداب ، الكويت ، د. ط. ١٩٩٨ .

د/ عاليه مبارك حسين علي

عبد المنعم القاضي البنية السردية في الرواية ، الناشر عين للدراسات والبحوث  
الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة، ط ١ ، ٢٠٠٩ .

لطيف زيتوني معجم مصطلحات نقد الرواية ، مكتبة لبنان ناشرون ،  
دار النهار للنشر ، ط ١ ، ٢٠٠٢ .

محمد الزبيدي تاج العروس في جوهر القاموس ، دار الكتب العلمية ، بيروت  
ط ١ ، ج ١٣ ، ٢٠٠٧ .

ابن منظور لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ج ٧ ، ط ١ ، ١٩٩٥ .  
مها القصراوي الزمن في الرواية العربية المعاصرة ، المؤسسة العربية  
للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٤ .

يمنى العيد في معرفة النص ، دار الآفاق ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٥ .  
المجلات والدوريات :

صالح ولعة إشكالية الزمن الروائي ، مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد كتاب  
العرب ، دمشق ، عدد ٣٧٥ ، تموز ، ٢٠٠٢ م .

مراكز البحوث :

محمد عفيفي تاريخ حافل : الحركة الطلابية والوطنية المصرية ، المركز العربي  
للبحوث والدراسات ، دراسات ، ٨ إبريل ٢٠١٤ .

الكتب المترجمة :

أ.أ. مندلاو الزمن والرواية ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٧ .  
جيرار جينيت الحكاية بحث في المنهج ترجمة : محمد عبد الجليل الأزدي  
منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ٢٠٠٣ .

جيرالد برنس المصطلح السردية (معجم السرديات) ، ترجمة : عابد خزندار  
، مراجعة وتقديم محمد بريري ، ط ١ ، المجلس الأعلى للثقافة ،  
٢٠٠٣ .

آليات اشتغال الزمن في رواية العسكري الأسود

ليون سرمليان      بناء المشهد الروائي ، ترجمة : فاضل ثامر ، مجلة الثقافة  
الأجنبية ، بغداد ، عدد ١ ، ١٩٨٧ .

ميشال بوتور      بحوث في الرواية الجديدة ، ترجمة : فريد أنطونيوس ، منشورات  
عديبات ، بيروت ، لبنان ، ط٣ ، ١٩٨٦ .